مضامين المعقات:

للقصيدة الجاهلية أغراضاً متعدّدة؛ واحد منها مقصود لذاته كالغزل عند امرئ القيس ، الحماسة عند عنترة ، والمديح عند زهير... وتفصيل هذا الكلام فيما يلي :

1/ وصف الأطلال [1] :

يقول امرئ القيس في معلقته [2]:

قِفا نَبْكِ مِنْ ذِكرَى حبيبٍ ومنزِلِ	بِسقطِ اللِّوى، بينَ الدَّخُولِ، فحَوْمَلِ
فتُوضِحَ فالمِقْراةِ لم يَعفُ رَسْمُها	لَما نَسجَتْها مِن جَنُوبٍ وشَمأَلِ
تَرَى بَعَرَ الآرامِ في عَرصَاتِها	وَقيعانِها، كأنَّهُ حَبُّ فُلْفُلِ
كَأَنِّي غَداةَ البَينِ، يَومَ تَحَمَّلُوا	لدَى سَمُراتِ الحَيِّ ناقِفُ حَنظَلِ
وُقُوفاً بها صَحْبي عَليَّ مَطِيَّهُمْ	يَقولونَ: لا تَهلِكْ أَسىً، وتَجَمَّلِ

ويقول زهير بن أبي سلمى؛ التي فيها قوله [3] :

أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لم تَكلَّمِ	بِحَوْمَانَةِ الدّرَاجِ فالمُتَثَلَّمِ
دِيَارٌ لها بالرَّقْمَتَينِ كَأَنَّها	مَرَاجِيْعُ وَشْمٍ في نَواشِرِ مِعْصَمِ
وَقَفْتُ بِهَا مِنْ بَعْدِ عِشرينَ حِجَّةً	فَلأْيَاً عَرَفْتُ الدّارَ بَعْدَ تَوَهُّمِ
فَلَمّا عَرَفْتُ الدّارَ قُلْتُ لِرَبْعِهَا:	أَلاَ انْعِمْ صَبَاحاً أَيُّهَا الرَّبْعُ واسْلَمِ

2/ النَّسيب :

يقول امرؤ القيس بعد أن وقف على ديارٍ عفت رسومها، تذكر محبوباته فقال في المعلقة مشبِّبا [4]:

كَدَأْبِكَ مِنْ أُمِّ الحُوَيْرِثِ قَبلَها	وَجارَتِها أُمِّ الرَّبابِ بِمَأْسَلِ
إذا قامَتَا تَضَوَّعَ المِسْكُ مِنْهُما،	نَسيمَ الصَّبا جاءَتْ بِرَيَّا القَرَنْفُلِ
فَفَاضَتْ دُموعُ العَينِ منِّي صَبابةً	على النَّحْرِ حتَّى بَلَّ دَمعيَ مِحمَلي

[1] – يُنظر للاستزادة : سعد حسن كمُّوني، الطلل في النص العربي (دراسة في الظاهرة الطللية مظهرا للرؤية العربية).

[2] – امرؤ القيس، الديوان، شرحه واعتنى به : عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة ، بيروت، لبنان، ط01، 2004، ص 21– 24.

[3] – زهير بن أبي سلمى، الديوان، اعتنى به وشرحه : حمدو طمَّاس، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط02، 2005، ص64– 65.

[4] – الديوان، مصدر سبق ذكره، ص 25.

3/ **الخمرة** :

يقول عمرو بن كلثوم:

أَلاَ هُبّي بِصَحْنِكِ، فَاصبَحينا،	وَلاَ تُبقي خُمُورَ الأندَرِينَا
كَأْسٍ قد شَرِبتُ ببَعلَبَكٍ،	وَأُخْرَى فِي دِمَشْقَ، وقاصرِينَا
مُشَعْشَعَةً، كَأَنَّ الحُصَّ فيها،	إذا ما الماءُ خَالطَهَا سَخينَا
تَجُورُ بذي اللُّبانَةِ عَنْ هَواهُ،	إذَا مَا ذَاقَهَا، حَتَّى يَلِينَا

وهذا عنترة يفتخر بشرب الخمر عندما يقول [1] :

وَلَقَدْ شَرِبْتُ مِنَ المُدَامَةِ بَعْدَمَا	رَكَدَ الهَوَاجِرُ بِالمَشُوفِ المعَلَمِ
زُجاجَةٍ صَفْرَاءَ ذاتِ أسِرَّةٍ،	قُرِنَتْ بِأَزْهَرَ فِي الشِّمالِ مُفَدَّمِ
فإذا شَرِبْتُ فإنّني مُسْتَهلِكٌ	مالي وعِرضِي وافِرٌ لَمْ يُكَلَمِ
وإذا صَحَوْتُ فَمَا أُقَصِّرُ عن نَدىً	وَكَمَا عَلِمْتِ شَمائِلِي وَتَكَرُّمِي

4/ **المدح** :

يقول زهير بن أبي سُلمى على سبيل المثال مادحا هرم بن سنان والحارث بن عوف لسعيهما في إصلاح ذات البين بين عبس وذبيان، حيث بذلا المال فتحملا ديات القتلى، وأسديا النصح، ولم يرتكبا إثما ولا قطيعة رحم، فيقول[2]:

سَعَى سَاعِيَا غَيْظِ بْنِ مُرّةَ بَعْدَمَا	تَبَزَّلَ ما بَيْنَ العَشِيرةِ بِالدَّمِ
أَقْسَمْتُ بِالبيْتِ الذي طَافَ حَوْلَهُ	رِجَالٌ بَنَوْهُ مِنْ قُرَيْشٍ وجُرْهُمِ
يَميناً لَنِعْمَ السَّيدَانِ وُجِدْتُمَا	عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ سَحيْلٍ وَمُبْرَمِ
تَدَارَكْتُما عَبْساً وذُبْيَانَ بَعْدَما	تَفَانَوْا وَدَقّوا بَيْنَهم عِطرَ مَنْشَمِ
وَقَد قُلتُما إنْ نُدرِكِ السّلمَ واسِعاً	بِمَالٍ وَمَعْرُوْفٍ مِنَ الأمرِ نَسْلَمِ
فَأَصْبَحْتُمَا مِنْها على خَيرِ مَوْطِنٍ	بَعيدَيْنِ فيها مِنْ عُقُوقٍ وَمَأثَمِ
عَظِيْمَيْنِ فِي عُليا مَعَدٍ هُدِيْتُمَا،	وَمَنْ يَسْتَبِحْ كَنزاً مِنَ المجْدِ يَعْظُمِ
وَأَصْبَحَ يُحْدَى فيهِمُ مِنْ تِلادِكُمْ	مَغَانِمُ شَتَّى مِنْ إفالٍ مُزَنَّمِ
تُعَفّى الكُلُومُ بالمئِينَ وَأَصْبَحَتْ	يُنَجِّمُها مَنْ لَيْسَ فِيهَا بِمُجْرِمِ
يُنَجِّمُها قَومٌ لِقَوْمٍ غَرَامَةً	وَلَمْ يُهَرِيْقوا بَيْنَهُمْ مِلءَ مِحْجَمِ

[1] – الديوان وشرحه للخطيب التبريزي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط01، 1992، ص 167- 170.

[2] – الديوان، مصدر سبق ذكره، ص66- 67.

وهذا النابغة الذبياني في معلقته، بعدما استوفى وصف ناقته، يقول مادحا النعمان بن المنذر [1] :

فَتِلْكَ تُبْلِغُنِي النُّعْمَانَ إنَّ لَهُ	فَضْلًا على النَّاسِ فِي الأدْنَى وَفِي البَعَدِ
وَلَا أَرَى فَاعِلًا فِي النَّاسِ يُشْبِهُهُ	وَمَا أُحَاشِي مِنَ الأقْوَامِ مِنْ أَحَدِ
إلَّا سُلَيْمَانَ إذْ قَالَ الإلَهُ لَهُ	قُمْ فِي البَرِيَّةِ فَاحْدُدْهَا عَنِ الفَنَدِ

5/ الفخر والحماسة :

فهذا طرفة بن العبد يفخر بنفسه وسيفه، ويتغنى بشجاعته، فيقول [2] :

أَنا الرَّجلُ الضَّربُ الذي تَعرِفُونَهُ،	خَشاشٌ كَرَأسِ الحَيّةِ المتَوَقِّدِ
فآلَيتُ لا يَنفَكُّ كَشحي بِطانَةً	لِعَضْبٍ رَقيقِ الشّفرتَينِ مُهَنّدِ
حُسامٍ! إذا ما قُمتُ مُنتَصِراً بِهِ،	كَفَى العَودَ منهُ البَدءُ ليس بِمعضَدِ
أَخِي ثِقَةٍ لا يَنثَني عَنْ ضَرِيبَةٍ	إذا قيلَ مَهلاً قالَ حاجزُهُ: قَدِي
إذا ابْتَدَرَ القَوْمُ السّلاحَ وَجَدْتني	مَنيعاً إذا بَلَّتْ بِقَائِمِهِ يَدِي

ولعلَّ عنتر بن شداد قد أحس بمرارة بعد عبلة عنه، حيث يظهر في شعر أولئك الفرسان تعلقهم بالمرأة، وظهور هذا التعلق في شعرهم، فيقول عنترة في ذلك [3]:

أثني عَليّ بِمَا عَلِمتِ، فإنّني	سَهلٌ مُخَالَقَتي، إذا لَمْ أُظْلَمِ
فإذا ظُلِمتُ فإنَّ ظلمَيَ باسِلٌ	مُرٌّ مَذَاقَتُهُ كَطَعْمِ العَلْقَمِ
وَلَقَدْ أَبِيتُ على الطّوَى وأَظَلُّهُ	حَتّى أَنَالَ بِهِ لَذيذَ المطْعَمِ
وَلَقَدْ شَرِبْتُ مِنَ المدَامَةِ بَعْدَمَا	رَكَدَ الهَواجِرُ بِالمشُوفِ المعَلَمِ
بِزُجاجَةٍ صَفْرَاءَ ذاتِ أسِرَّةٍ،	قُرِنَتْ بِأَزْهَرَ في الشِّمالِ مُفَدَّمِ
فإذا شَرِبْتُ فإنّني مُسْتَهلِكٌ	مالي وعِرضِي وافِرٌ لَمْ يُكَلَمِ
وإذا صَحَوْتُ فَمَا أُقَصِّرُ عن نَدىً	وكَمَا عَلِمْتِ شَمائِلي وَتَكَرُّمي

ثم يقول في صورة بطولية أخرى من بطولاته، يظهر فيها لعبلته شجاعته وإقدامه [4] :

---

[1] – الديوان، اعتنى به وشرحه : حمدو طمَّاس، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط02، 2005، ص34– 35.

[2] – الديوان، شرحه : مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط03، 2002، ص 27– 28.

[3] – الديوان، مصدر سبق ذكره، ص 167– 170.

[4] – المصدر السابق، ص 171– 173.

هلاّ سَأَلْتِ الخَيْلَ يا ابنَةَ مالِكٍ	إنْ كُنْتِ جاهِلَةً بِمَا لَمْ تَعْلَمي
يُخْبِرْكِ مَنْ شَهِدَ الوَقيعَةَ أنّني	أَغشَى الوَغَى، وأَعِفُّ عندَ المغنَمِ
إذْ لا أزالُ على رِحَالَةِ سابِحٍ،	نَهدٍ، تعاوَرُهُ الكُماةُ مُكَلَّمِ
طَوراً يُجَرَّدُ للطَعانِ وتارَةً	يَأْوي إلى حَصِدِ القِسيّ عَرَمْرَمِ
ومُدَجَّجٍ كَرِهَ الكُماةُ نِزالَهُ،	لا مُمعِنٍ، هَرَباً ولا مُستَسْلِمِ
جَادَتْ يَدايَ لَهُ بِعَأجِلِ طَعْنَةٍ	بِمُثَقَّفٍ صَدْقٍ الكُعُوبِ مُقَوَّمِ
فشَكَكْتُ بالرّمْحِ الأصَمّ ثِيابَهُ	لَيْسَ الكَرِيمُ على القَنَا بِمُحَرَّمِ

ولعلَّ صورة الفخر في المعلقات تتجلى أكثر ما تتجلى في معلقة عمرو بن كلثوم، والذي طالَ جلَّها، بحيث لا يتسع المقام إلا للإشارة إلى بعض فخره بقومه تغلب، حيث يقول [1]:

أَبا هِندٍ، فَلا تَعْجَلْ عَلَينا،	وَأَنْظِرْنا نُخَبِّرْكَ اليَقينَا
بِأَنّا نُورِدُ الرّاياتِ بِيضاً،	ونُصْدِرُهنّ حُمراً قَد رَوِينَا
فإنَّ الضِّغنَ بَعْدَ الضّغنِ يَفْشُو	عَلَيْكَ، وَيُخرِجُ الدَّاءَ الدَّفينَا
وَأَيَّامٍ لَنَا غُرٍ، طِوالٍ،	عَصَينا المَلْكَ فيها أَنْ نَدينَا
وَسَيِّدِ مَعْشرٍ قَدْ تَوّجُوهُ	بتاجِ المُلكِ يَحمي المحجَرِينَا
تَرَكنا الخَيلَ عاكِفَةً عَلَيْهِ،	مُقَلَّدَةً أَعِنّتَها صُفُونَا
وَأَنْزَلنا البُيُوتَ بذي طُلُوحٍ،	إلى الشّاماتِ نَنفي المُوعِدينَا
وَقَدْ هَرّتْ كِلابُ الحَيّ مِنّا،	وَشَذَّبْنا قَتَادَةَ مَنْ يَلِينَا
وَرِثْنا المجدَ، قد عَلِمتْ مَعَدٌّ	نُطاعِنُ دُونَهُ حتى يَبِينَا
ونحنُ إذا عِمادُ الحَربِ خَرّتْ	على الأحفاض، نَمنَعُ مَن يَلينا
نَعُمّ أُنَاسَنا، وَنَعِفُّ عَنهم	وَنَحمِلُ عَنْهُمُ ما حَمَّلُونَا
نُطاعِنُ ما تَراخَى النّاسُ عنّا،	ونَضرِبُ بالسّيوفِ، إذا غُشينَا
بسُمرٍ مِنْ قَنَا الخطيّ لُدْنٍ،	ذَوابِلَ، أَو بِبِيض يَعْتَلِينَا
نَشُقّ بها رُؤوسَ القَومِ شَقّاً،	ونَخْتَلِبُ الرّقابَ فَيَخْتَلِينَا

[1] – الديوان ، مصدر سبق ذكره، ص 71– 74.

ويبلغ الفخر مداه في قوله [1] :

إذا بَلَغَ الفِطَامَ لَنا رَضيعٌ،	تَخِرُّ لَهُ الجَبابرُ ساجِدينَا
مَلأْنا البَرَّ حتى ضاقَ عَنّا،	كَذاك البَحرَ نَملَؤهُ سَفِينَا
أَلا لا يَحْسَبِ الأعداءُ أَنَّا	تَضعضعنا، وأَنَّا قَد فَنِينَا
تَرانا بارِزِينَ، وكلُّ حيٍ	قَدِ اتَّخَذَوا مَخَافَتَنا قَرِينَا
كَأَنّا، والسّيُوفُ مُسَلَّلاتٌ	وَلَدْنا النّاسَ طُرّاً أَجمَعِينَا
تَنادَى المِصعَبانِ وآلُ بَكْرٍ،	ونادَوا يا لَكِندَةَ أَجْمَعِينَا
فإنْ نَغْلِبْ، فغَلاَّبُونَ قِدْماً،	وَإنْ نُغلَبْ، فَغَيْرُ مُغَلَّبِينَا
أَلا لا يَجْهَلَنْ أحَدٌ عَلَيْنا،	فَنَجهَلَ فوقَ جَهلِ الجاهِلينَا
وَنَعدو حَيْثُ لا يُعْدَى عَلَينا،	ونَضرِبُ بالمواسي مَنْ يَلينَا

6/ الوصف :

أ/ الطبيعة الصامتة :

وقد تنوعت تجلياتها في المعلقات كوصف المعلقات والليل والنجوم والبرق والسحاب والمطر والسيل والصحراء والنار والرياض والمياه، من ذلك وصف الليل عند امرئ القيس في قوله [2]:

ولَيلٍ كَموجِ البَحْرِ أَرْخَى سُدولَهُ	عَليّ بأَنْواعِ الهُمُومِ لِيَبتَلي
فَقُلْتُ لَهُ لما تَمَطَّى بِجَوْزِهِ	وَأَرْدَفَ أَعْجازاً ونَاءَ بِكَلْكَلِ
أَلا أَيُّها اللّيلُ الطّويلُ ألا انْجَلِ	بِصُبْحٍ، وما الإصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ
فَيا لَكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نُجُومَهُ	بِكُلِّ مُغَارِ الفَتْلِ شُدّتْ بِيَذْبُلِ

ووصف البرق والسحاب حيث يقول فيهما [3] :

أَصَاحِ تَرَى بَرْقاً أُرِيكَ وَمِيْضَهُ	كَلَمْعِ اليَدَيْنِ في حَبِيٍ مُكَلَّلِ
يُضِيءُ سَنَاهُ، أَوْ مَصَابيحُ رَاهِبٍ	أَهَانَ السَّلِيطَ بِالذُّبَالِ المُفَتَّلِ
قَعَدْتُ وأَصْحَابِي لَهُ بَيْنَ ضَارِجٍ	وبَيْنَ العُذَيْبِ، بُعْدَ ما مُتَأَمَّلي

[1] – المصدر نفسه، ص 90-91.

[2] – الديوان، مصدر سبق ذكره، ص 48- 50.

[3] – المصدر السابق، ص 63- 69.

على قَطَنٍ بِالشَّيْمِ أَيْمَنُ صَوْبِهِ	وأَيْسَرُهُ على السِّتَارِ فَيَذْبُلِ
فَأَضْحَى يَسُحُّ حَوْلَ كُتَيْفَةٍ	يَكُبُّ على الأَذْقَانِ دَوْحَ الكَنَهْبُلِ
وَمَرَّ على القَنَانِ مِنْ نَفَيَانِهِ	فَأَنْزَلَ مِنْهُ العُصْمَ مِن كلّ مَوئِلِ
وَتَيْمَاءَ لَمْ يَتْرُكْ بِهَا جِذْعَ نَخْلَةٍ	وَلاَ أُطُماً إلاّ مَشِيْداً بِجَنْدَلِ
كأَنَّ ثَبِيراً فِي عَرَانِينِ وَبْلِهِ	كَبِيرُ أُنَاسٍ فِي بِجَادٍ مُزَمَّلِ
كَأَنَّ ذُرَى رَأْسِ المجَيمِرِ غُدْوَةً	مِنَ السَّيلِ والغُثّاءِ فَلْكَةُ مِغْزَلِ
وَأَلْقَى بِصَحْرَاءِ الغَبِيْطِ بَعَاعَهُ	نُزُولَ اليَمَانِيْ ذي العِيَابِ المحَمَّلِ
كَأَنَّ مَكَاكِيَّ الجِواءِ غُدَيَّةً	صُبِحْنَ سُلافاً مِن رَحيقٍ مُفَلْفَلِ
كَأَنَّ السِّباعَ فيهِ غَرْقَى عَشِيَّةً	بِأَرْجَائِهِ القُصْوَى أَنَابِيْشُ عُنْصُلِ

ب/ الطبيعة المتحركة :

وهي في المعلقات تتجلى في وصف ارتحال الظعائن، والصيد ووصف الفرس والناقة والنعامة والأتان وحمار الوحش وكلاب الصيد والعقاب، من ذلك وصف طرفة لارتحال الظعائن في قوله [1]:

كَأَنَّ حُدُوجَ المالِكيّةِ غُدوَةً،	خَلايا سَفينٍ بالنّواصِفِ مِنْ دَدِ
عَدَوْلِيّةٍ أو مِنْ سَفِينِ ابنِ يامِنٍ	يَجورُ بها المِلاّحُ طَوْراً وَيَهْتَدي
يَشُقّ حَبابَ الماءِ حَيزُومُها بِهَا	كما قَسَمَ التُّرْبَ المفائِلُ باليَدِ

ووصف عنترة لفرسه في غارة من غاراته : [2]

لَمّا رأَيْتُ القَوْمَ أَقْبَلَ جَمعُهُمْ	يَتَذامَرُونَ كَرَرْتُ غَيْرَ مُذَمَّمِ
يَدْعُونَ عَنْتَرَ، والرّمَاحُ كأنّها	أَشْطانُ بِئْرٍ في لَبَانِ الأدْهَمِ
كَيْفَ التّقَدّمُ والرّمَاحُ كَأَنّها	بَرْقٌ تَلألأ في السّحَابِ الأَكْرَمِ
كَيْفَ التّقَدّمُ والسّيوفُ كَأَنّها	غَوغا جَرادٍ في كَثيبٍ أَهْيَمِ
ما زِلْتُ أَرْميهِم بِغُرّةِ وَجْهِهِ	ولَبَانِهِ حتى تَسَرْبَلَ بالدّمِ
فإذا اشْتَكَى وَقْعَ القَنا بِلَبَانِهِ	أَدْنَيْتُهُ مِنْ سَلّ عَضْبٍ مِخْذَمِ
فازْوَرّ مِنْ وَقْعِ القَنَا بلَبَانِهِ	وشَكَا إليّ بِعَبْرَةٍ وتَحَمْحُمِ

[1] – الديوان، مصدر سبق ذكره، ص19.

[2] – الديوان، مصدر سبق ذكره، ص 181– 183.